

عناية المرأة بالعلوم الدينية في الغرب الإسلامي ما بين القرنين (2.6هـ / 8.12م)

أ/ مليكة حميدي
جامعة الجزائر

شاءت إرادة الخالق سبحانه و تعالى أن تقوم مقومات المجتمع الإسلامي منذ البداية على الأركان والعناصر الطبيعية في المجتمع بالمشاركة بين الرجل و المرأة . وظهرت أهمية المرأة لأول مرة في المجتمع الإسلامي أما زوجة وأختا. فقدمت كل ما تملك في سبيل نصره دين أمّتها وسعت تأخذ دورها في جدية وعزم لا يلين. فشاركت في جميع الأعباء بلا استثناء، فهي في المنزل قلبا يسع كل أفرادها وفي العمل يدا تشد من أزر الباقين، وفي الحروب ظهرا ودعما لجند الله المقاتلين. أمثلة كثيرة خلّدها التاريخ من النساء اللاتي قدّمن النفس والنفيس في سبيل الله وإيماننا برسالته وإنفاذا لأوامره .

ففي الوسط العلمي ترعرعت في أحضان الإسلام آلاف النساء اللاتي برعن في أصناف العلوم حتى نافسن الرجال وفرضن وجودهن. وأصبحت أستاذات لكبار علماء عصرهن. وفي هذا الشأن ترجم ابن حجر لألف وخمسمائة وثلاث وأربعين امرأة (1543)، كما ترجم السيوطي لسبع وثلاثين امرأة (37). ولعل النساء المسلمات قد حققن موسوعة علمية لم يتأت لأمة أخرى أن تحض بها في مختلف العصور والأمصار.

ومن الملاحظ أنه لم يخل كتاب من كتب التراجم والأدب من أمثلة حيّة لنشاط المرأة المسلمة في مختلف الميادين، غير أن حضها من الإسهام الحضاري كان أوفر وأعظم شأنًا للمرأة في المشرق الإسلامي والأندلس منه للمرأة في المغرب الإسلامي، ومرجع ذلك في غالبية الضن ليس لغياب المرأة المغربية

الكلي في هذا المجال، إنما لعناية الباحثين والدارسين للمرأة في المشرق أكثر بكثير من المرأة في المغرب. ولأجل ذلك أرجو أن يكون هذا العمل المتواضع سدا لهذه الفجوة و لو نسبيا في إبراز بعض إسهاماتها في العلوم الدينية لاسيما وهي جارة لأختها الأندلسية التي تعدى صيتها الأفاق.

تلقت المرأة في الغرب الإسلامي مختلف العلوم التي قدمت إليها في عصرها بغض النظر لانتمائها الطبقي في المجتمع، و لذا أقتصر في هذه الدراسة على ذكر بعض النماذج ممن أسهمن في إحياء العلوم الدينية وما اتصل بالقرآن الكريم و الحديث الشريف حيث شمل الوسط النسوي في هذا المجال عدد من الفقيهات، المحدثات، المقرئات، المتصوفات، الخطاطات، الواعظات و المرشدات اللاتي قضين معظم أوقاتهم في الإرشاد و الوعظ و تقديم ما استطعن تقديمه من أعمال البرّ والخير و الإحسان و في نفس الفترة الزمنية كانت تنن فيها المرأة الأوروبية تحت وطأة قيود الكنيسة المسيحية وسلطة رجال الدين .

ونلاحظ من سير النساء العلمية أن المرأة الطموحة لم تقتصر في طلب العلم عن المقربين لها كالأب و الأخ و الزوج في بلدها، بل سعت إلى كسب العلم و المعرفة عن طريق الرحلات العلمية برفقة من تربطها به صلة القرابة أي تكون مع محرم لها. و من ذلك مثلما ورد في كتب التراجم أن «راضية» مولاة الخليفة الناصر - التي أعتقها ابنه الحكم المستنصر - رحلت هي وزوجها لبيب الفتى إلى المشرق في سنة - 353هـ/963م - وكانا يقرءان ويكتبان ويتدارسان كتب العلم من قرآن و حديث، وتتلماذا على شيوخ و علماء الشام . مثلها أيضا «خديجة» بنت أبي محمد بن عبد الله بن سعيد الشنتجالي التي سافرت مع أبيها لطلب العلم في المشرق.

ولقد أثرت هذه الرحلات العلمية في الرصيد المعرفي و الديني لبعض العالمات.

و عموما فقد لقيت المرأة تشجيعا من ذويها لاسيما نساء العلماء و القضاة و الحكام و الأمراء .

و من أشهر ما أفرزته الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي في الفقه عبر مختلف الدول المتعاقبة على حكمه مايلي :

في عهد الدولة الرستمية: أخذت المرأة قسطا معتبرا لاسيما في العلوم الدينية واشتهرت من النساء أخت الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن رستم ثالث الأئمة الرستميين الذي حكم ما بين (211 - 212هـ/854 - 855م)¹.

1 - أبو زكريا يحيى بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر 1979م ص 85، 89. بوبة مجاني: دور المرأة في الحركة العلمية لجبل نفوسة من القرن 3 - 6 هـ / 9 - 12م مجلة الحياة العدد 2، جمعية التراث، القرارة غرداية، 1490هـ / 1998م ص 156، 160،

أما في المجتمع الإباضي بأقصى شرق المغرب الأدنى، ساهمت المرأة الإباضية في العلوم الدينية و من أشهر النساء اللاتي كن مقصدا للعلماء في جبل نفوسة أم الخطاب و بهلولة و أم الربيع الوريورية حتى قيل أن ثلث علم جبل نفوسة مع امرأة إسما زورع الأرجانية و لا شك أن قدرات هذه المرأة تجاوزت قدرات العلماء من رجال المذهب و ليس فقط قدرات أخواتها اللاتي بلغ عددهن 300 - ثلاثمائة - عجوز أو فقيهة في منطقة الساحل وحدها.

وقد استعملت المصادر الإباضية مصطلح "عجوز" للدلالة على المرأة العالمة الفقيهة مقابل مصطلح "الشيخ" للرجل. وكان الناس يسألون (العجائز) في أمور الدين ويلتزمون العمل بالفتاوى والأحكام التي يصدرنها¹.

ويبدو أن المكانة العلمية التي وصلت إليها بعض النسوة في المجتمع الإباضي لهي دليل على سماح كبار شيوخ الإباضية للمرأة بمشاركتهن الأمور الفقهية، ولكن يرجح ذلك أكثر إلى الوسط العدائي الذي وجد فيه هذا المذهب فعدّ عاملا سمح للمرأة الإباضية التعلم والاشتراك في الحياة السياسية والعلمية. وعليه يمكن القول بأن مشاركتها العلمية لا تعبر عن حريتها في مجتمعها بقدر ما تدل على أنها استعملت كوسيلة لنشر المذهب الإباضي².

ولم يختلف الحال عند فقهاء المذهب السني، حيث فتحوا أبواب الاجتهاد للمرأة لمعرفة دقائق التعاليم الإسلامية، فعملت بعض العالمات على الاتصال المباشر بكبار فقهاء عصرهن، أو عن طريق مؤلفاتهم لإشباع رغباتهن العلمية. ومن أشهرهن "خديجة" بنت سحنون (سحنون بن حبيب التتوخي عالم القيروان وقاضيا الشهير في المذهب المالكي) وهي من اللواتي حظين بنصيب وافر من العلم والمعرفة. وتمثل دورها في تعليم نساء عصرها العلم وكنّ يستفتينها في القضايا الدينية. مثلها «أسماء» بنت أسد بن الفرات إمام المذهب الحنفي والمالكي التي اشتهرت برواية الحديث والفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان (توفيت سنة 230هـ/864م)³.

1 - بوبة مجاني نفس المرجع ص 162، 163

2 - بوبة مجاني نفسه. كمرزاز فوزية دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن 5 هـ إلى منتصف القرن 7 هـ دار الأديب وهران 2006 ص 75.(4)

3 - أبو الفضل عياض بن موسى اليعقوبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد سالم، ح 1، دار الكتب العلمية، لبنان 1418هـ / 1998م، ص 346. عبد الوهاب حسن حسني: الشهيرات التونسية بعث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابع بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر، دمشق، 1352هـ/1957م ص 18/19. رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام مؤسسة الرسالة بيروت، 1379هـ / 1960م، ج 1 ص 45.

أما في المملكة الزيرية نبغت "أم ملال" بنت المنصور بن يوسف الصنهاجي التي امتازت بالعلم و الأدب. واعتنت بتربية ابن أخيها المعز بن باديس وإعداده لتبوء الملك. واختارت له لهذا الغرض العالم أبا الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني الذي بصّره بخطورة ممارسة الروافض للمذهب الشيعي في المملكة الزيرية وما يعانیه المسلمون من أهل السنة والجماعة من تسلط بدع الروافض على أذهان العامة خاصة. ولما استلم المعز زمام الحكم نبذ ولاءه للفاطميين بمصر وأعلن ولاءه للخلافة العباسية ببغداد. وبالتالي يرجع الفضل في رجوع المذهب السني في المملكة الزيرية لعمته «أم ملال» التي تميزت بسداد الرأي وبعد النظر وبالعامل السري لمناصرة المذهب المالكي واسترجاع مكانته في المغرب الإسلامي. كما اعتنت بتربية أخت المعز واسمها «أم العلو» على نفس المنوال التربوي لابن أخيها المعز. ولما سيكون لهذه الأخيرة من تأثير في تحسين العلاقات الجوارية مع بني حماد بالمغرب الأوسط.

وفي الدولة الحمادية اشتهرت الأميرة «بُلارة» بالكرم والتدين والعلم، وهي زوجة الناصر بن علناس صاحب القلعة و بجاية (حكم ما بين 454هـ - 481هـ / 1062 - 1089م). إلا أن هذا الوصف الموجز للأميرة «بلارة» لا يشفي غليل الباحث طالما لم يعثر على مادة علمية وفيرة تسفر له على كثير من الجوانب الخفية لهذه المرأة البجاوية¹.

أما دور المرأة في العهد المرابطي في رعاية العلوم الدينية فقد فاقت سابقاتها. وتوسعت دائرة الاستفادة لدى كل فئات المجتمع في المغرب والأندلس. ويبدو أن نساء البلاط المرابطي كن في معظمهن متعلمات مثقفات وشاعرات جمعن بين العلوم الدينية و الأدب. أمثال «زينب النفزاوية» التي اشتهرت بالعلم والرياسة و النفوذ السياسي في عهد زوجها يوسف بن تاشفين بتدعيمه الحكم ماديا و معنويا وتثبيت قواعد الدولة المرابطية في حركتها الجهادية بالمغرب الأقصى.

وبلغت عناية الأمراء المرابطين بتعليم بناتهم عناية يستحق الوقوف عند بعض محطاتها، فهذه «حواء» بنت إبراهيم المسوفي كانت لها دراية بالقرآن والفقه وتحاضر في الأدب. وأختها «زينب» كانت تجيد حفظ الشعر. أما الأميرة «تميمة» بنت يوسف بن تاشفين فزيادة عن علمها، فقد اتخذت الموكلين والكتاب وكانت تحاسبهم في غير خجل. ومن ذلك ما يروى أن أحد كتابها بهت لما رآها سافرة الوجه فأشددته في حينه :

1 - ابن عداري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1418هـ/ 1998م ص 282 - 283. حسن حسني عبد الوهاب: نفس المرجع ص 43 - 42

هي الشمس مسكنها في السماء * * * فعزي الفؤاد عزاء جميل

فلن تستطيع إليها الصعود * * * ولن تستطيع إليك النزول

وهذان البيتان الشعريان يعبران على جراءة وبداهة هذه الأميرة في قرصها للشعر و على حقيقة عمق الفوارق الاجتماعية في المصاهرة بين العائلات في المجتمع المرابطي¹.

كما نالت «حواء» بنت تاشفين و«مريم» بنت تاشفين إعجاب ورضا الكثير من الأندلسيين حتى خص الشاعر ابن خفاجة «مريم» بقصيدة مدح في ديوانه الشعري ومنه انتقي بعض ما اتصفت به هذه الأميرة:

ذات المكانة والديانة والتقوى * * * والخلق الأشرف والطريق الأقوم

مليكة لا يوازي قدرها ملك * * * كالشمس تصغر عن قدرها الشهب

أنثى سما باسمها النادي وكم ذكر * * * يدعى كأن اسمه من لؤم لقب

وهكذا يتجلى من خلال هذا المدح إيمان الشاعر بأن الذكورة ليست أسمى و لا أفضل من الأنوثة، ومن ذلك فليس التأنيث منقصة لإسم الشمس، ولا التذكير فخر الهلال².

ففي الأندلس أخذت المرأة قسطا وافرا في ثنايا كتب التراجم والأدب والتاريخ أكثر من مثلتها في المغرب فخلدت عدد من شهيرات الأندلس في العلوم الدينية خصوصا في الفقه و رواية الحديث والقراءات في الفترة الزمنية المدروسة. ولكن بالمقابل وبالذات في القرن 5هـ/11م لمعت في الأندلس أسماء بعض الأديبات والشاعرات أمثال «تزهون» القلاعية و«مهجة» و«ولادة» بنت المستكفي التي استحوذت على جلّ الدراسات الأدبية، وكادت تنحصر أفكار بعض الدارسين عن المرأة المتعلمة والأدبية والمتحررة من قيود المجتمع في هؤلاء الشاعرات خاصة الأخيرة منهن التي ذاع صيتها في الأفق منذ القرن 5هـ/11م، واعتنت الدراسات الحديثة خاصة الأدبية منها بأشعارهن مبلغا منقطع النظر، إضافة إلى ذلك بروز بعض الدراسات الأجنبية الحديثة التي استهدف احتضان المرأة الأندلسية المتعلمة ضمن الحضارة المسيحية

1 - بن عبد الله عبد العزيز: معجم أعلام نساء المغرب الأقصى، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب 1970 ن ص7. حميدي مليكة: المرأة المغربية في عهد المرابطين، رسالة الماجستير، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر، 1422هـ-1423هـ 2001م، صص 40، 61.

2 - ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم) : النقي العاصمي الغرناطي (628 - 708هـ) صلة الصلة القسم الخامس تحقيق: عبد السلام الهراس وسعيد أعراب - مطبعة فضالة - المغرب (1416هـ / 1995م) رقم 619 ص 308. الضبي (أحمد بن يحيى بن عميرة) : بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس : تحقيق إبراهيم الأبيار، ج 2، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، و دار الكتاب اللبناني، بيروت 1410هـ / 1989م. رقم 1600 ص 733 - ابن خفاجة أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح : ديوانه : تحقيق كرم.

الغربية معتبرة أن حرية المرأة الأندلسية في التحرك ومجالسة الرجال في النوادي، هي معاني الحرية والكرامة المكتسبة من البيئة الأندلسية ذات الأصول المسيحية والتي فقدته معظم النساء في مجتمعها الإسلامي مغربا ومشرقا حيث كانت المرأة حبيسة البيت ورهن رغبة الرجل أينما كان أبا، أخا أو زوجا¹. ولكن بالمقابل فإن المصادر الأندلسية المختلفة لاسيما الكتب الفقهية و النوازل والتراجم تفند ذلك وتتوه بكثير من نساء الخاصة المتعلمات و نوات التخصص في علوم الشريعة الإسلامية واللاتي وعين أن طلب العلم النافع هو أسمى ما يتقرب به العبد لخالقه عزّ وجلّ، وهذا ما تسفر عنه هذه الدراسة كما أوردت هذه المصادر وبالموازاة وجود مشاركة شريحة أخرى من نساء العوام في الحياة العامة، مثل ما أورده ابن عبد الرؤوف وابن عبدون وابن حزم عن المهن النسائية أن «من النساء الطبيبة، والحاجمة والسرافة، والدلالة والماشطة، والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصناع في الغزل والنسيج وما أشبه ذلك»².

ومن هذا الوسط النسوي المتنوع الوظائف أنتقي نماذج لبعض العالمات التي فضلن المجاهدة في طلب العلم وتبليغه بدلا من الانغماس في مجالات الترف واللهو والشهوات، والسعي على استثمار أوقاتهم وأموالهن في الصالح العام عاملين بقول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾³.

وأفتتح معجم تراجم العالمات الأندلس بذكر فقيهاتها الفاضلات و هن كالتالي :

- 1 - دوزي رينهرت: المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1994.
- Pères Henri: La culture intellectuelle des femmes musulmanes en Espagne au Moyen Age : Art: in revue de la mediterrannée n6, T17 Paris _Alger, 1957. Pères Henri: La poésie andalouse en arabe classique au 11è Siècle, Paris, 1953, pp397,399 400.
- Alboronoz Sanchez: La Espana musulmana T1, Buenos Aires, 1946, p66
- 2 - ابن حزم : طوق الحمام الأندلسي : طوق الحمام في الألفة والألاف، ضبطه بالشكل سعيد محمود عقيل ط1، دار الجيل، بيروت 1417هـ/1997، ص97. غالب مصطفى الزغول: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط1 مركز الأفق أربد، الأردن، 1421هـ - 2001م، ص254. ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية القاهرة 1955 87.
- ابن الزبير : المصدر السابق، رقم 625 ص 311. ابن بشكوال؛ (أبو القاسم خلف بن عبد الملك : كتاب الصلوة، القسم الثاني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966. رقم 1553 ص 694. الضبي(أحمد بن يحيى بن عميرة) : بغية الملتبس قي تاريخ رجال أهل الأندلس : تحقيق إبراهيم الأبيار، ج 2، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، و دار الكتاب اللبناني، بيروت 1410هـ / 1989م. رقم 1600 ص 733 محمد بن عزوز : صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري (رواية و تدريسا)، الطبعة 1 دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ / 2006 م. ص32.
- 3 - سورة الأحزاب، الآية: 34.

"خديجة" بنت جعفر بن نصير بن السمار التميمي:

زوجة عبد الله بن أسد الفقيه، روت عن زوجها عبد الله موطأ القعبي قراءة عليه بلفظها في أصله وقيدت فيه سماعها بخطها في سنة 394هـ - أربع وتسعين وثلاثمائة هجرية - قال عنها ابن بشكوال: «سمعت الشيخ أبا الحسن بن مغيث رحمه الله يذكرها. وذكر لي أن الكتاب عنده، ثم رأيته بعد ذلك على حسب ما ذكر رحمه الله، ورأيت من تحسيبها كتبا كثيرة على ابنتها ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه¹». هذه شهادة ابن بشكوال فيها.

"فاطمة" بنت يحيى بن يوسف المغامي

أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي. كانت خيرة فاضلة عالمة فقيهة، استوطنت بقرطبة و بها توفيت رحمها الله سنة 319هـ - تسع عشر وثلاثمائة - ودفنت بالربض، جمعت بين رواية الحديث والفقه. ونظرا لمكانتها العلمية قيل إنه لم ير على نعش امرأة قط ما روي على نعشها.

أما "فاطمة" بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي أخت أبي محمد الباجي الأشبيلي بنت أبي العباس اللخمي: فهي تنتسب لإحدى الأسر العلمية في المجتمع الأندلسي المعروفة بأسرة الباجي القاطنة بأشبيلية والتي أسدت للعلم والمعرفة جهودا عليّة مثمرة. ولم يقتصر دور هذه الأسرة على رجالها بل حتى على النساء ومنهن "فاطمة" التي شاركت أباها محمد في بعض شيوخه و أجاز لها العلامة محمد بن فطيس الإلبيري في جميع روايته بخط يده في بعض كتبهم رحمهم الله². كما قرأت عن أبيها أبي العباس أحمد بن عبد الله اللخمي المغربي الفاسي الصحيحين وأقرأها بالسبع. فتعلمت عليه وكتبت الكثير من العلم وجمعت بين رواية الحديث و القراءات. توفيت عام 560هـ رحمها الله.

كما حظيت "خيرونة الأندلسية" بتقدير الفقيه الإمام السلاجي الذي ألف لأجلها "كتاب البرهانية" في أصول الدين. وما من شك أن شخصية كالسلاجي يخص سيدة بمثل هذا التكريم إلا إذا كانت على مستوى كبير من المعرفة الدينية.

1 - ابن بشكوال نفس المصدر، رقم 1527، ص 691. ابن الزبير (أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم): الثقي العاصمي الغرناطي (628 - 708هـ) صلة الصلة القسم الخامس تحقيق: عبد السلام الهراس و سعيد أعراب - مطبعة فضالة - المغرب (1416هـ / 1995م) رقم 619 ص 308. الضبي (أحمد بن يحيى بن عميرة: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس: تحقيق إبراهيم الأبيار، ج 2، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، و دار الكتاب اللبناني، بيروت 1410هـ / 1989م. رقم 1600 ص 733: نفس المصدر، رقم 619، ص 313. و رقم 1600 ص 733 ابن بشكوال: نفسه رقم 1532 ص 6911.

2 - ابن بشكوال: نفس المصدر، ص 292. الضبي، نفس المصدر، ص 547.

ويبدو مما سبق أن بعض الفقهاء والعلماء والقضاة تقبلوا أمر مساواتهم مع النساء في الجانب العلمي ولم يجدوا غضاضة في التعامل معهن عكس ما تدعيه بعض الدراسات الأجنبية الغربية في عدم السماح للمرأة بالمشاركة في الحياة العامة.

ومن الأمثلة على فعالية المرأة العاملة في الأندلس واحتلالها مكانة اجتماعية رفيعة محترمة ما أورده المقري: « أن أحد قضاة - بلدة لوشة - بالأندلس، كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الأحكام والنوازل. وكانت تعرض في مجلس قضاة النوازل المستعصية الحل، فيلجأ إلى زوجته التي تشير عليه بما يحكم به. فكتب إلي هذا القاضي أحد أصحابه مداعبا إياه بقوله:

بلوشة قاض له زوجة * * * وأحكامها في الورى ماضية

فيا ليته لم يكن قاضيا * * * ويا ليتها كانت القاضية

فأطلع القاضي زوجته علي الرسالة حين قرأها دون تعقيب عليها. فقالت له ناولني القلم، فناولها إياه، فكتبت ردا علي المرسل:

هو شيخ سوء مزدري * * * له شيوب عاصية

كلا لئن لم ينته * * * لنسفعا بالناصية»¹.

ورغم أن المصادر لم تذكر اسم هذه المرأة ولا اسم القاضي، إلا أنها نوهت بقدرتها في استنباط الأحكام الفقهية التي فاقت القاضي نفسه. ولم يتجرأ أحد من الخاصة أو العامة العدول عن أحكامها بل بالعكس تمنى البعض لو كانت قاضية فعلا، عرفانا بعلمها وصرامتها التي تبدو من خلال ردها بحيث لم ترض للقاضي أن يكون محطة مداعبة وسخرية ولو من طرف أصدقائه لأن مقام القضاء يتسم بالجدّ و ليس بالهزل.

ومن النساء المحدثات مايلي :

"غالية" بنت محمد:

المعلمة الأندلسية روت عن أصبع بن مالك الزاهد وذكرها مسلمة بن قاسم في كتاب النساء² و«أمة الرحمان» بنت أحمد بن عبد الرحمان بن عبد القاهر العبسي :

1 - المقري (شهاب الدين احمد بن محمد): نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت، 1419هـ/1998م، ص294.

2 - الضبي: نفس المصدر، رقم 47، 1594 ابن بشكوال: نفس المصدر، رقم 1535 ص693. راوية عبد الحميد شافع: المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط غرناطة، (92 - 422 هـ / 711 - 1031م) الطبعة الأولى، 2006م ص159.

ذكرها أبو محمد بن خزرج وقال: سمعت عليها مع ابن أخيها محمد بن عبد الملك بعض ما روته عن أبيها، وكانت صوامة قوامه وتوفيت بكرًا في شعبان من سنة أربعين وأربعمائة 440 هـ وسنها نيف وثمانون سنة رحمها الله. أما «حفصة» ابنة الأستاذ أبي عبد الله محمد بن أحمد السلمي، المعروف بابن عروس: فقد أحكمت على أبيها قراءات السبعة، وقرأت عليه كثيرًا من كتب الحديث، والأدب، وغير ذلك، ودرست كتاب الموطأ وعرضته على خال أبيها أبي بكر يحيى بن عروس التميمي. وكانت فصيحة سليمة اللسان من اللحن، وأقرأ الناس لكتاب الله عز وجل وإن صعب خطه وقل شكله ونقطه، فإنها لا تتوقف ولا تتلعثم. ووافتها المنية في الخامس عشر لرمضان سنة ثمانين وخمسائة (580 هـ) وسنها سبع وعشرون سنة رحمها الله.

"مسعدة" ابنة أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري

روت الحديث عن أبيها وعن أخيها أبي جعفر وعن زوجها أبي عبد الله النميري وكانت من ذوي الذكاء والدين. وتوفيت بقرطبة سنة ثلاث وتسعين وخمسائة (593 هـ).

«أم العز» بنت محمد العبدي: سمعت بقراءة أبيها صحيح البخاري مرتين، وروت عن زوجها أبي الحسن ابن الزبير وعن آخرين¹.

و"خديجة" بنت أبي محمد بن عبد الله بن سعيد الشنتجالي التي شددت الرحال في طلب العلم سمعت مع أبيها من الشيخ أبي ذر بن أحمد الهواري صحيح البخاري وغيره. وشاركت مع أبيها في السماع من شيوخه بمكة. ويقول ابن بشكوال: «رأيت سماعها في أصول أبيها بخطه ودخلت معه الأندلس وماتت بها».

"عائشة" بنت القاضي الجليل أبي الخطاب محمد بن أحمد ابن خليل:

روت عن أبيها - ولم تذكر غيره واستجيز لها غيره إلا أنها لم تذكر ذلك. وكانت من الصالحات، ذاكرة لكثير من أخبار سلفها وغيرهم، متيقظة، سنية فاضلة.

"أم السعد" بنت عصام الحميري:

من أهل قرطبة، وتعرف بسعدونة لها رواية عن أبيها و جدها و غيرهما، وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها، فقالت:

1 - ابن الزبير: نفس المصدر رقم 630 ص 314. ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد ت 703 هـ / 1303 م): الذيل و التكملة لكتابي الموصول والصلة - القسم الأول السفر الثامن، تقديم و تحقيق و تعليق محمد بن شريفة، جزء 5، أكاديمية المملكة المغربية 1984م ص 482 / 483 - محمد بن عزوز: المرجع السابق، ص 65.

سألتم التمثال إذ لم أجد * * * للثم نعل المصطفى من سبيل
لعلني أحضى بتقبيله * * * في جنة الفردوس أسى مقيل
في ظل طوبى ساكنا آمنا * * * أسقى بأكواب من السلسيل
وأمسح القلب عله * * * يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى من بأطلال * * * من يهواه أهل الحب في جيل¹

"فاطمة" ابنة أبي الحسن البنسي:

كانت من كبار المحدثات أخذت العلم عن أبيها و اعتنت بصحيح البخاري و هكذا حظي صحيح البخاري وموطأ مالك بعناية واهتمام أوفر من باقي كتب الصحاح الأخرى لدى عالَمات الأندلس.

ومن المقرءات ما يلي :

"طونة" بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع

تكنى "أم حبيب" وهي زوج أبي القاسم بن مدبر الخطيب المقرئ أخذت عن أبي عمر بن عبد البرّ الحافظ كثيرا من كتبه و مؤلفاته وعن أبي العباس أحمد بن عمر العذري الدلاي، وسمع زوجها أبو القاسم المقرئ بقراءتها عليهما، كانت حسنة الخط فاضلة دينة - عاشت ما بين 437هـ و 506هـ².

أما "ريحانة" فقد درست القراءات و أخذت بعض علومها بالمرية عن أبي عمرو، ثم قرأت عليه القراءات الأخرى غير السبع وأجازها على ذلك³.

"فاطمة" بنت أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب الأنصاري الشراط :

تكنى "أم الفتح" وهي أم الأستاذ أبي القاسم بن الطيلسان قرأت على أبيها ختمات لا تحصى، وعرضت عليه "التنبيه" للمكي و "الشهاب" للقضاعي و "مختصر" لابن عبيد الطليطلي عن ظهر قلب، وقرأت القرآن أيضا على أبي عبد الله المدوري الزاهد عرضا، و قابلت مع أبيه صحيح مسلم، وسير ابن هشام - تهذيبه- والكامل للمبرد ونوادر البغدادي، وغير ذلك، توفيت عام ثلاثة عشر وستمائة، وذكر ابنها المقرئ أبو القاسم

1 - ابن بشكوال : المصدر السابق ، رقم 39، ص 696. ابن الزبير : المصدر السابق ، رقم 631 ص 315 . محمد بن عزوز: نفس المرجع ص 32 . المقرئ : المصدر السابق ، جزء 4 ، ص 166. محمد بن عزوز : نفس المرجع ، ص 31 .

2 - ابن بشكوال : المصدر السابق ، رقم 1541، ص 696 ، ص 732. ابن الزبير : المصدر السابق ، رقم 620 ، ص 308. رقم 627 ص 312

3 - الطيبي : المصدر السابق، رقم 1595، ص 476. ابن بشكوال: نفس المصدر، ص 73

أنها كانت تتميز بقراءة ورش¹. فهي المقرئة بنت مقرئ ووالدة مقرئ وأعتبرها خاتمة مسك لهذه التراجم للعالمات المسلمات.

التصوف:

شمل المجتمع على فئة من النساء التي اختارت حياة العبادة التي وجدت فيها الطمأنينة وصفاء الروح ومن أمثلة النسوة اللاتي فضلن حياة الزهد والاعتكاف على العبادة والانقطاع إلى الله في ريعان شبابهن يذكر ابن الزيات التادلي: «أن من هؤلاء شابة هسكورية التي لم تبلغ الحلم والتي عدت من الأولياء وانقطعت عن الناس وعن أهلها للتفرغ للعلم والعبادة إلى أن ماتت بعيدة عن والدتها.

ويذكر يحيى بن عبد الرحمان بن عبد الله، حديث جدته عن أمينة (أمينة) بنت يغروسن، التي أدركت الشيخ عبد السلام التونسي، التي كانت تلبس خمار صوف وتقيم النهار من أوله إلى آخره بجامع تلمسان إلى أن لحقت بالله عز وجل بعد أن عمرت ما ينيف المائة سنة.

ومنهن أيضا "أمة الرحمان" بنت عبد القاهر العبسي التي كانت تعرف بالزاهدة وتوفيت بكرا، وأم هاني وزينب القرطبية².

ومن هذه النماذج من النساء، دلالة واضحة على بداية انتشار تيار الزهد، والتصوف في الوسط النسوي، الذي مهدت أرضيته في نهاية دولة المرابطين، ثم اشتد هذا التيار وتوسع أكثر في عهد دولة الموحدين واستنادا على ما ذكر التادلي، أن بعض النسوة بلغن درجة عالية في الصلاح، والانقطاع إلى الله والتقرب إليه بالعبادة وفعل الخيرات حتى أصبح الناس يتبركون بالبعض منهن. ومن هؤلاء قبر مجهول بالقرب من مدينة أغمات وريكة - بالمغرب الأقصى - بالقرب من قبر عبد العزيز التونسي، يقال أنه قبر أخته التي انقطعت إلى العبادة إلى أن ماتت وهي بكر، وكان عبد العزيز التونسي إذا جاءه أحد يستوهد منه الدعاء يأمره أن يذهب إليها لتدعو له لما كانت على قيد الحياة وربما لذلك اتخذ قبرها مزارا.

الخطاطات:

يعتبر الخط إحدى الوسائل الأساسية في الحياة الفكرية، لما يدون من تأليف العلماء وإثراء المكتبات العلمية. وقد اشتهر أهل الأندلس بهذا الفن وبلغت عناية النساء بخط الكتب عامة والمصاحف خاصة من نسخ وتنسيق وزخرفة مبلغا منقطع النظير، فاعتبرت المصاحف آية في جمال الخط ورونق التذهيب والزركشة

1 - الصلة: ج 5، ص 311، محمد بن عزوز: المرجع السابق، ص 31

2 - ابن الزيات التادلي: التشوف لرجال التصوف، اعتناء أدولف فور، الرباط، 1985، ص 312. عمر رضا كحالة: أعلام النساء في علمي العرب والإسلام ج 1، ط 4، ص 203، ص 84،

و التزويق. وقد فضّل الناس الكتب التي نسختها النساء نظرا لنظافتها و إتقانها، ولا شك أن عملهن المتقن نابع من إيمانهن وإجلالهن للقرآن الكريم، ومصدقا لما حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من أن إتقان العمل يستوجب محبة الله جلّ جلاله. وكانت نسخ النساء تباع بسعر منخفض عن تلك التي يبيعهها الرجال، ربما مرجع ذلك أن أشهر الخطاطات كن ميسورات الحال كما سيتبين ذلك لاحقا، لا يبحثن على مقابل عملهن إنما غايتهن ابتغاء مرضاة الله في خط مصاحف في غاية الروعة والإتقان والجمال. ولكن هذا لا يستبعد في أحوال أخرى أن الخط والنسخ كانا مصدر استرزاق حلال لكثير من نساء الطبقة العامة ومن ذلك ما أورد عبد الواحد المراكشي¹: «أن في الربض الشرقي بقرطبة كان به 170 امرأة كلهن يقمن بكتابة القرآن الكريم وتخطيطه بالخط الكوفي، ووضعه في مصاحف كل نسخة مستقلة عن الأخرى».

وإن كان هذا الوصف لناحية فقط من نواحي قرطبة، وهي الربض الشرقي، فما الحال ببقية الأرياض العشرين التي كانت تحيط بمدينة قرطبة حاضرة الخلافة الأموية، بل وبالمدن الكثيرة الأخرى التي تضارع قرطبة اهتماما بالعلوم والثقافة؟

ومن المحتمل جدًا، أن المصاحف كانت تنسخ بخطوط أخرى غير الخط الكوفي كالخط المغربي، بدليل أن ابن خلدون قد خص الأندلس بخط مستقل بها، تميزت به عن بقية الأقطار الإسلامية، وهو ما يعرف بالخط الأندلسي أو القرطبي في عهد الخلافة الأموية. وأما في العهد المرابطي، فقد تغلب الخط الأندلسي على الخط المغربي في معظم أنحاء الغرب الإسلامي، والذي لم يكن مقتصرًا على الرجال، بل برعت عدة خطاطات في هذا الفن خاصة في الأندلس، لاسيما أن الله عزّ وجلّ مجده في سورة منفردة وهي سورة القلم بقوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾²، ولذلك اتسع مجال التنافس في هذا الميدان الذي أنتقي منه على سبيل المثال لا على سبيل الحصر بعض النماذج من ذوات الأنامل الذهبية التي تتصدرهن :

"صفية" بنت عبد الله الربّي:

التي كانت موصوفة بحسن الخط، وكانت أديبة شاعرة، فقد ورد أن امرأة قد عابت خطها حسدا ربما لما كان سائدا من منافسة حادة في هذا الفن، فردت عليها بثلاثة أبيات تقول فيها:

1 - المراكشي عبد الواحد المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد عريان ومحمد العلمي الطبعة 1، مطبعة الاستقامة القاهرة 1949 ص 372 / بن عبد الله عبد العزيز: المرجع السابق ص 24، 14. هنري بيريس الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة و قيمته التوثيقية ترجمة الدكتور طاهر أحمد مكي الطبعة الأولى دار المعارف القاهرة 1408هـ / 1988م ص 373 . ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: تاريخ بن خلدون الجزئين الأول والرابع الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1413هـ / 1992م. يحي وهيب الجبوري : الخط والكتابة في الحضارة العربية ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص121، 120. 2 - الضبي، المصدر السابق، ص528.

وعائبة خطي فقلت لها أقصري * * * فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها * * * وقربت أقلامي و رقي ومحبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها * * * ليبد وخطي فقلت لها أنظري¹

ويتسنى لنا من خلال الشطر الثاني، للبيت الثاني معرفة الأدوات المستعملة في الخط، وهي الأقلام التي قيل عنها: «خير الأقلام ما استحکم نضجه في جرمه، ونشف ماؤه في قشره، وقطع بعد إلقاء بزره وبعد أن أصفر لحاؤه، ورق شجره وصلب شحمه وثقل حجمه»، والرق والمحبرة .

وفي الواقع أن هذه الأدوات كانت في متناول كل ممتحن الخط ، لكن لبراعة اليد في مسك القلم وفي الاستمداد من المحبرة شأن كبير حتى قيل : « الاستمداد هو أصل عظيم من أصول الكتابة ومن لم يحسن الاستمداد وبري القلم فليس في الكتابة في شيء ».

ومن خلال هذه الأبيات الشعرية، يمكننا تصور هيئة المرأة الخطاطة، وجهدها في إتقان الكتابة لنيل رضا الله بكتابة المصاحف وتلبية رغبة القارئ من كتب أخرى متنوعة.

و ذكرها صاحب جذوة المقتبس، أنها توفيت في آخر سنة سبع عشر وأربعمائة - 417 هـ - وهي دون ثلاثين سنة من عمرها²). ولم تكن "صفية" التي توفيت في ريعان شبابها متفردة في هذا الفن الجميل، بل اشتهرت عدّة خطاطات نابغات بحسن الخط منهن:

"عائشة" بنت أحمد بن محمد بن قادم: وهي إمراة قرطبية ذكرها ابن حيان وقال عنها: لم يكن في جزائر الأندلس في زمانها، من يود لها فهما وعلماء، وأدبا وشعراء، وفصاحة وعفة وجزالة وحصانة. وكانت تمدح ملوك زمانها وتخطبهم فيما يعرض لها من حاجتها، فتبلغ بيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا ترد شفاعتها، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب وتعنتي بالعلم ولها خزانة علم كبيرة حسنة، ولها غنى وثروة تعينها على المروءة، تصرفت في مالها أحسن تصرف، ومحاسنها كثيرة. ويضيف ابن حيان في آخر ترجمتها، أنها توفيت عذراء سنة (400 هـ) أربعمائة هجري. ومما خلد ذكرها شعرها الذي ردت من خلاله، على من خاطبها من الشعراء ممن لم ترضاهم، فكتبت إليهم تقول:

أنا لبؤة لكنني لا ارتضي نفسي مناخا طول دهري من أحد³

1 - الضبي، المصدر السابق، ص528.

2 - ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الأندلس ،تحقيق محمود علي مكي ، القاهرة 1390هـ / 1971م.ابن بشكوال المصدر السابق ، رقم 1531 ص 292.

3 - ابن بشكوال: الصلة، قسم 2، رقم 233، ص292 ن 293. المقري، نفع الطيب، جزء 4، ص290.

ومن ثانياً ترجمة هذه المرأة التي عاشت في القرن (4 هـ/10م)، دليل قاطع عن الحرية التي منحت للمرأة المسلمة في التعلم والتكسب، وفي التصرف في مالها، وفي صون كرامتها وعفتها، وحققها في اختيار شريك حياتها، عكس ما تدعيه بعض الدراسات الأجنبية، من حرمان الإسلام المرأة من حريتها وحقوقها في الحياة واكتسابها حرية التعبير عن مشاعرها، كان وليد القرن (5 هـ/11م) مع بروز ولادة بنت المستكفي وغيرها من أدبيات هذه الفترة الزمنية.

أما "عزيزة" بنت محمد بن نميل: فيذكرها ابن الزبير قائلاً: «إنها سمعت على القاضي أبي بكر بن العربي، أقيت سماعها مجلساً من حديث أبي الفوارس طراد الزينبي سمعته من لفظها، ووقفت على خطها وكانت حسنة الخط، قويمة اللسان ولم أتعرف من حالها أكثر، وأراها أخت أبي جعفر أحمد بن محمد بن نميل من أهل مرسية. كذا شأن "فاطمة" بنت زكريا بنت عبد الله: (الكاتب المعروف بالشبلاري مولى بني أمية)، كانت كاتبة جزلة عمرت عمراً كثيراً واستكملت أربعاً وتسعين سنة (94 سنة)، تجيد الخط وتحسن القول، ذكرها ابن حيان، وقال: توفيت في جمادى الأولى سنة 427 هـ - سبع و عشرين وأربعمائة - ودفنت بمقبرة أم سلمة وشهد جنازتها جمع من الناس لمكانتها الاجتماعية وفضلها ماتت بكرًا رحمها الله .

إن الخطاطات والناسخات الأندلسيات كثيرات، لكن منهن ذوات التخصص مثل "البهاء" المتخصصة في كتابة المصاحف و"فاطمة" بنت أحمد زويتن الفاسي، التي كتبت بخطها نسخة من صحيح البخاري في خمسة أجزاء. و"طونة" بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع السابقة الذكر ضمن المقرئات و"أمة الرحمن" بنت أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي السابقة الذكر مع المحدثات، و"ريحانة" جارية الطبيب أبي عبد الله الكناني ممن خلدتهن أقلام المؤرخين، وغيرهن كثيرات لا يتسع المجال لذكرهن.

تذكر بعض المصادر، أن في أهم مدن المغرب الأوسط (الجزائر حالياً)، منها مدينتي بجاية و تلمسان، وجد الكثير من النساء الحافظات للقرآن الكريم، وكتب الصحاح خاصة منها صحيح البخاري على ظهر قلب. ولكن لم تدل هذه الإشارة، إلى ارتقاء النساء المغربيات إلى المستوى الفقهي، ورواية الحديث الذي بلغته العالمات الأندلسيات: ويؤول سبب ذلك، إلى طريقة التعليم و الحفظ التي كانت تتم عن طريق التلقين سمعا دون لجوء النساء إلى القراءة والكتابة، أي (كن أميات) يعتمدن على الحفظ، عكس الأندلسيات التي جمعت الواحدة منهن بين العلم الديني والأدب والخط، وإذا صح ذلك فإن هؤلاء المغربيات الحافظات

بو فلاقة سعد: الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص50.

للقرآن الكريم و الحديث الشريف، فقدن أهم عامل لتقييد إنتاجهن الفكري ألا وهو الخط الذي يقيد به العلم، والذي نأسف كثيرا على ندرة وجود الخطاطات في المصادر التاريخية والأدبية والفقهية. ومن جانب آخر نأسف على غياب ذكر حتى أسمائهن أو ألقابهن أو أنسابهن فيها، وربما مرجع ذلك إلى إتلاف كتابات هذه الفترة، أو إلى انتماء غالبية النساء إلى الطبقة العامة من المجتمع المغربي الإسلامي التي يغض عنها الذكر في معظم الكتابات عكس نساء الوجهاء من العلماء والحكام والأمراء... الخ، مثلما ذكرناه سابقا عن نساء الأندلس من الطبقة الخاصة، أو ربما يرجع عدم ذكر أسماء النساء المغربيات إلى العادات، والتقاليد والأعراف التي أسدلت ستار الحجاب على المرأة، وترى أنه من العيب والعار ذكر إسم المرأة جهرا، لأنه يمس بعرض الأسرة أو حتى بسمعة ومكانة القبيلة، أو ربما خوفا من أن يعرضها ذلك إلى خطر لا يحمد عقباه في حين تعدى المجتمع الأندلسي تلك الاعتبارات والعادات المحلية، لكن رغم كل ذا وذاك لنا نموذج رائع في إحدى نساء المغرب الأوسط المتمثل في:

"عائشة" بنت أبي الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، التي تفردت في هذا المجال فكانت أديبة أريبة فصيحة لبيبة، وكان لها خط حسن، يقول الغبريني: «رأيت كتاب الثعالبي - أبو منصور المتوفى سنة 429 هـ بخطها في ثمانية عشر جزءا، وهو «يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر»، وفي خاتمة كل سفر منهم قطعة من الشعر من نظم والدها رحمه الله إذا ختم السفر وقال عنها عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، أن ابنته عائشة كانت تكتب القطعة بخطها، ويضيف الغبريني أنها نسخة عتيقة، ما رأيت أحسن منها و لا أصح، ولقد رأيت منه نسخا كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة، ويقترح أنه يجب أن تكون هذه النسخة أصلا لهذا الكتاب حيث كان، ويقع التصحيح منها، وتوجد هذه النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية و يضيف أنه من الغريب أنه رأى هذا الكتاب في سفر واحد بحاضرة قسنطينة أمام جامع قصبتهما وهو أكثر ما رأى الكتاب في ثمانية عشر سفرا، و أقل ما رآه في سفر، وهو بخط بيّن لا بأس به.

هذه شهادة الغبريني في خط عائشة وتفوق نسخها عن من سواها من خلال كتاب يتيمة الدهر للثعالبي.

ومن شعر الأديبة الشريفة عائشة :

أخذوا قلبي و ساروا * * * و اشتياقي و أدعوني

لا عدا إن لم يعودوا * * * فاعذروني و أدعوني

ويقال أنها بعثت بهما إلى ابن الفكون شاعر وقته ، و قالت عارضهما أو زد عليهما فكتب لها معتذرا عن الجواب: إن الاقتصار عليهما هو الصواب.

ولها أيضا :

صدني عن حلاوة التشيع * * * اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم خير ذا بوحشة هذا * * * فرأيت الصواب ترك الجميع

و لها في معنى المداعبة ، و قد خطبها رجل من الأشراف كان أصلع فلم تجبه إلى مراده ، و قالت هذه الأبيات تداعب صاحبته من الفتيات:

عذيري من عاشق أصلع * * * قبيح الإشارة والمنزع
يروم الزواج بما لو أتى * * * يروم به الصّفع لم يصفع
برأس حويج إلى كية * * * ووجه فقير إلى برقع

ولهذه الأشعار والمداعبة، معاني التقارب والتواصل في العلاقات الإجتماعية بين الفتيات المغربيات¹.

ومما لا شك فيه، أن هذا الإسهام النسوي كان له أثر في انتشار وازدهار الحركة الفكرية في قرطبة وغيرها، إضافة لذلك ما اتصف به أهل الأندلس من حب اقتناء الكتب، وامتلاك المكتبات وشغفهم بالقراءة وطلب العلم. فعدت قرطبة المركز الرئيسي لتجارة الكتب، واعتبرت سوق الكتب بها أكبر سوق في المغرب والأندلس، واستمرت معامل الورق تزود البلاد بما يحتاجه الوراقون للقيام بنسخ الكتب وتجليدها، وكانت قرطبة تفاخر وتباهي بسوق كتبها، كما كانت اشبيلية تباهي بالآلات الموسيقية التي تصنع بها. واحتوت ضواحي قرطبة في عهد عبد الرحمان الثالث، الذي حكم ما بين (300 - 350هـ / 912 - 961 م) علاوة على القصور و المنازل على 600 مسجد، 17 مدرسة عليا، 80 مدرسة و20 مكتبة فيها عشرات الآلاف من الكتب كان للخطاطات والناسخات نصيب وافر وإسهام معتبر فيها. فكان بعض حكام و أمراء النصارى يبعثون بناتهم للتعلم والتأدب في مدارس قرطبة².

1 - الغبريني: (أبو العباس أحمد بن أحمد): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ص79، 80 .

2 - زغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط9، دار صادر، بيروت،1421هـ - 2000م، ص. 118. مفتاح دياب: مقدمة في تاريخ العلوم والحضارة، ط1، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، 1992. ص115. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط6، دارالرشاد،القاهرة، ص379،377. عبد الهادي التازي: المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1 نشر الفنك، الدار البيضاء،1413هـ/1992م،ص109.

وإن كانت عملية الكتابة والنسخ في عصرنا الحالي قد عوضتها آلات النسخ الحديثة المتطورة فيبقى تراثنا الفني الإسلامي في الخط والزخرفة يفتخر بما سطرته أنامل الخطاطات والناسخات في الغرب الإسلامي.

واتسم هذا الدور المعتبر الذي قامت به المرأة، في إثراء الحياة العلمية والفكرية لاسيما العلوم الدينية في المغرب وفي الأندلس بالأخص، مما أفرز كثير من النماذج المشرقة للمرأة المسلمة التي استحقت عن جدارة أن يذكرها ويؤرخ لها العديد من المؤرخين، بل ويفتخرون بأعمالها الجليلة في حمى الكرامة والحرية التي منحهما إياها الإسلام، وما عدد النماذج المذكور أنفا من العالمات إلا قطوف دانية من إسهاماتها في العلوم الدينية دون غيرها من دروب المعرفة الأخرى لا متناهية.

